

العلمانية تقنلح بالخلافة الراشدة

بدأت تدخلات الاستعمار البريطاني في السودان، بعد احتلال مصر عام ١٨٨٢، وفي عام ١٨٩٦ بدأت حملة كيتشنر العسكرية لإسقاط الدولة المهديية.

ففي ٢ أيلول/سبتمبر ١٨٩٨ وقعت معركة أم درمان، وسقطت عاصمة الدولة المهديية في يد المستعمر الإنجليزي الكافر، وحكم الإنجليز السودان بأنظمتهم التي تقوم على عقيدة فصل الدين عن الحياة وعن الدولة، وركز ذلك في الحياة العامة والدولة، وأنشأ الأحزاب السياسية على الأساس ذاته، وكذلك الجيش، جيش وطني، حتى جاءت فترة ما يسمى بحق تقرير المصير، وخروج المستعمر الإنجليزي عام ١٩٥٦، مستبدلاً بالاستعمار المباشر استعماراً غير مباشر للسودان والإتيان بطبقة سياسية وحكام من أهل السودان، ليسيروا على النهج ذاته، بتطبيق النظام الجمهوري الذي يقوم على فصل الدين عن الدولة، ليكون السودان دولة وظيفية تحقق مصالح المستعمر الإنجليزي، وليس مصالح أهل البلاد.

ثم كان الصراع الأنجلو أمريكي، استبدال مستعمر جديد بمستعمر قديم، ووقع السودان تحت نفوذ أمريكا بانقلاب جعفر محمد نميري في ١٩٦٩/٥/٢٥ وحتى حكم عمر البشير الذي أسقطته الثورة الشعبية في كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٩. وحتى هذه اللحظة يسير السودان على النظام العلماني، وإن تعاقب على حكمه نخب مدنية وعسكرية، فمنهم من رفع شعار الديمقراطية ومنهم من رفع الشعارات الإسلامية. ويظل السؤال هو، ما الجديد في طرح العلمانية بهذا الزخم والإصرار من القوى السياسية ومن وراءها من القوى الاستعمارية (أمريكا وبريطانيا)؟ هل هو للقضاء على آخر معاقل الإسلام (النظام الاجتماعي) الممثل في علاقة الرجل بالمرأة أم لمحاربة الإسلام في نظام حكمه (الخلافة)، وتجريم الدعوة إليها والعاملين على إقامتها بعد تنامي الدعوة للخلافة وإقبال جماهير الأمة وأهل البلاد عليها؟

السودان جذوره ضاربة في التاريخ إلى الإسلام العظيم، منذ الفتح الإسلامي للسودان في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه عام ٣١هـ، حيث أمر واليه على مصر فأرسل جند الإسلام بقيادة عبد الله بن أبي السرح.

السودان في عهد الخليفة العباسي المأمون حيث اشترى بعض المسلمين أرضاً في النوبة فاعترض كبير النصارى على صحة البيع قائلاً: إن البائع النصراني هو من رعيته لا يجوز له بيع أرضه إلا بإذنه وهو لا يأذن، فرفعت القضية إلى الخليفة المأمون فأحالتها للقضاء فحكم بأن مالك الأرض يملك التصرف في أرضه دون إذن كبير النصارى، لأنه ليس عبداً عنده يمنع من التصرف فيما يملك. وقد كان ذلك الحكم العادل سبباً في دخول عدد كبير من النصارى الإسلام، الذي لا يميز في الحق بين كبير وصغير، فلا يظلم عنده أحد.

سودان العثمانيين حيث أصبح السودان ولاية هو ومصر سنة ١٨٢١.

كل ذلك يؤكد أن السودان جزء من جسم دولة الخلافة في مختلف الحقب، حتى جاء الاستعمار الصليبي بمشروع هدم الخلافة عبر تقطيع الخلافة وتمزيق ولاياتها، وإنشاء الدولة الوطنية القطرية العلمانية التي بما حقق وطموحه وتطلعاته في ضرب وحدة الدولة الإسلامية وإبعاد حكم الإسلام، فجنت الأمة من جراء ذلك الثمار المرة من ضعف، وفقر، وفتن، وحروب داخلية (حدود الدم).

وإن الحل يكمن في العودة لاستئناف الحياة الإسلامية وإقامة الخلافة التي هي فرض وواجب.

